أصداء الإستفتاء في المغرب

كان المكتب الدائم لتنسيق التعريب في العالم العربي قد ارسل لطائفة من الكتاب والعلماء والمفكرين في نطاق دراسة مشاكل العربية واوضاعها جملة اسئلة تدور حول مستقبل اللغة وطريق النهوض بها وغير ذلك . وسيقيم في الآونة الاخيرة معارض للكتاب القانوني والفقهي ، والعسكري ، والاقتصادي والعلمي في كثير من مدن المغرب . كما سبق لمجلة « المعرفة » السورية ان قامت بالقاء عدة اسئلة على الاختصاصيين ومدرسي العلوم بالجامعات في العالم العربي ؛ وقد نشرت في بعض اعدادها اجوبة اولئك المختصين مما ساعد كثيرا على جس النبض في سير تدريس العلوم بلغة الضاد في البلاد العربية وتبيان مستقبل الدراسات العلمية العالية في الجامعات .

وتقوم «العلم» الآن بالقاء بعض الاسئلة ولو في نطاق ضيق ومحدود على بعض الاساتذة الذين اقاموا على كاهلهم في فترات عصيبة مهمة تعليم العلوم بالعربية في المدارس الحرة . والفترة التي شهدت قيام هذه الرسالة الكبيرة انطلقت من لا شيء ، وكان الاساتذة انفسهم يقدمون خطوة ويؤخرون اخرى . فالمراجع معدومة ، والرجال متكونون بلغة فرنسية محض كانت معركة جد شاقة كلفت الجهود المضنية الى ان استطاع التعليم العلمي العربي في المدارس الحرة في النهاية ان يتحسس طريقه ويقف على رجليه فوق أرض ثابتة .

ولندخل في اجوبة بعض الاساتذة الذين وافونا بها لنعرف الحقيقة منذ البدء :

فالاسئلة التي وجهناها لهم اربعة كالآتي :

1) قمتم بتدريس العلوم والرياضيات بالعربية في المدارس الحرة ، كيف كانت تجربة تدريس المواد العلمية لاول مرة بالنسبة لكم وللمدارس المغربية باللغة العربية ؟

2) هل اتت التجربة بنتيجة ايجابية ، واستطاع المتخرجون من تلك المدارس ان يتابعوا دراستهم العلمية عند ما انتقلوا الى مدارس متخصصة سواء في المغرب أو الخارج ؟

3) بعد تعريب التعليم ازدادت فرص تلقين العلوم بالعربية خصوصا وان الافواج التي تلقت العلوم باللغتين على وشك التخرج وكذلك تعريب بعض الكتب والمصطلحات العلمية وغيرها ، فهل ستلعب هذه المقدمات دورا فعالا في ارساء تعليم علمي عربي بالبلاد ؟

4) مارستم تعليم العلوم بالعربية وانتم مطلعون ولا شك على مشاكله . هل تحددون المشاكل والصعوبات التي تحول دون اتمام هذه الرسالة ؟

تلاميذنا المكونون بالعربية يضاهون أو يتفوقون على تلاميذ التعليم المكونين بالفرنسية

الاستاذ ادريس عمور
عميد المدرسة العليا للمهندسين

— 1 —

* لقد مارست خلال عدة سنين ، او على الاصح خلال اكثر من عشر سنوات ، تعليم الفيزياء والكيمياء والرياضيات باللغة العربية ، ورغم كوني لست متبحرا في هذه اللغة ولم اكن متضلعا فيها ، فقد قمت باعطاء دروسي الاولى في الرياضيات بالعربية حوالي — 1950

— 1951 — وربما قبل هذا التاريخ وذلك بمؤسسة لحلو بالدار البيضاء . ولولا مثابرتي وصمودي ، ولولا ايمان مدير المؤسسة المذكورة فى نجاحي فى هذه المهمة لكنت عجزت عن القيام بها بعد اسبوع من التدريس : نعم ، لقد كان يبدو لي اذ ذاك من قبيل المحال من الناحية العلمية ان ابلغ لعقول تلامذتي فكرتي العلمية باللغة العربية ، حتى ادى بي الحال الى تقديم استقالتي ، غير ان المدير رفضها رفضا تاما وصار يشجعني ويقوي عزيمتي . فأصبحت بمحض ارادتي واجتهادي اقوم بتعريب مادة الرياضيات اولا ثم الفيزياء وبعد ذلك مادة الكيمياء . ولم تكن اذ ذاك رهن اشارتي اية مراجع فى العلوم بالعربية ، مما جعلني اعتمد على الارتجال فقط . وكانت النتيجة ان شعرت بهذه الظاهرة : فبدلا من ان يظهر التلاميذ نوعا من الضجر ويعسر عليهم الامر من عدم استطاعتي التعبير بطلاقة اللسان وايجاد الالفاظ العلمية بسهولة . فقد اندمجوا معي فى هذه المحاولة واصبحوا بدورهم يبحثون معي عن المصطلحات التي تؤدي المعنى بدقة . ولم يكن ليتسنى ايجاد اللفظ قبل معرفة ما كان يرمي اليه ، وهذا البحث الاجماعي عن المصطلح المناسب كان عاملا مهما حمل التلاميذ على الاجتهاد فى فهم الدرس النظري والتمارين التطبيقية فهما جيدا .

وقد قمنا بالبحث عن المصطلحات ، وهكذا فبعد مضي شهر ونصف من الحيرة والتردد ، اصبح فى استطاعتي — رغم كوني لم اكن احسن اللغة العربية كما ذكرت آنفا — ان اقوم بتدريس ما كان يبدو لي ذلك من قبيل المحال واعني بذلك مواد العلوم بالعربية.

وطبعا ، خلال السنة التالية كنت ادرس باللغة العربية بنفس السهولة التي كانت تخولني اياها اللغة الفرنسية ، اقول كنت ادرس باللغة العربية كلا من مواد الرياضيات والفيزياء والكيمياء واخيرا البرامج المقررة فى العلوم للسنوات الاولى من التعليم الثانوي .

ولما قمت : بمدارس محمد الخامس بالرباط صحبة صديقي الاستاذ الحسين البكاري ، بانشاء السنة الثانية من الطور الثانوي الثاني ثم فتح قسم الباكلوريا العصرية الاولى 1953 — 1954 ، لم نجد اية صعوبة ، لان المصطلحات الاساسية كانت هي هي ، ولم تكن لتتغير ، وبهذه الطريقة استطعنا أن نزيل من عقلية التلاميذ المعربين كل مركب نقص وذلك بتلقينهم — باللغة العربية طبعا — نفس البرامج المقررة فى الفيزياء والكيمياء والرياضيات ، بالمعاهد الثانوية (الفرنسية) .

وبعد الاستقلال ، اصبح من الممكن ان نحدث بثانوية مولاي يوسف بالرباط اول قسم معرب لتحضير الباكالوريا الثانية فى الرياضيات ، ثم حوالى سنة 1961 اولى سنة تحضيرية عليا معربة فى الرياضيات والفيزياء والكيمياء بالمدرسة المحمدية للمهندسين .

لقد واجهتنا فى هذه المرحلة العليا من تعريب المواد العلمية مشاكل عويصة ناتجة عن عدم وجود المراجع الضرورية ، الامر الذي جعلنا نلجأ الى استعمال الحروف اللاتينية للتعبير عن الرموز فى الكيمياء والفيزياء والرياضيات .

وسأتكلم بعد حين عن هذه الصعوبات .

— 2 —

* لقد كانت لهذه التجربة طبعا نتائج ايجابية فليس المغاربة من ذوي الذاكرة المحدودة : تذكروا السنتين التجريبيتين 1952 ، 1953 وما بعد سنة 1953 : فبفضل تعريب المواد العلمية فى الطور الثانوي بالمدارس الحرة استطعنا سواء بالرباط ، او سلا ، او الدار البيضاء او فاس الخ.. ان نخلق نوعا من النشاط فى نفوس مجموعة من الشباب كانوا يظنون مستقبلهم مغلقا عليهم وان انس فلن انسى عزة النفس التي كنت اقراها على وجوه تلامذتي عندما كانوا يمثلون امامي قائلين : « لقد انجزنا المشكلة الحسابية المطروحة على تلاميذ ثانوية مولاي يوسف ولقد حللناها باللغة العربية لرفاقنا ..الخ.»

وما اكثر ما واجهناه فى طريقنا من عناد وتشكيك ! ورغم ذلك فان اقبال التلاميذ ونشاطهم بلغ شأوا كبيرا حوالي سنة 1954 — 1955 الى درجة أن كاد الامر يدفع بنا الى اخفاء برامجنا لكون المسؤولين عن التعليم آنذاك كانوا يتخوفون من مزاحمة تعليم غير رسمي وان كان لا فرق تماما بين مستواه ومستوى التعليم الرسمي ، ويلقن باللغة العربية !

وحوالي سنة 1955 ، حصلنا على الفوج الاول من الحاملين لشهادة الباكالوريا ، غير الرسميين ، وان شئت فقل (المكونين فى الخفاء) (لانه كان على المدارس الحرة فى ذلك العهد الا يتعدى تعليمها السنة الثالثة من الطور الثانوي) ، وقد قام الاساتذة الشرقاوي، وابو بكر ، والبكاري وغيرهم ببعض

الاتصالات مع الاقطار الشقيقة فى الشرق . وهكذا فقد استطعنا الحصول على المصادقة والاعتراف بباكلوريا برزت من الخفاء . هذا ومن بين ذلك الفوج ، فقد دخل للمغرب عدد كبير من الطلبة وهم يمارسون الآن مهمة التدريس بمعاهدنا .

وبعد سنة 1956 ، استطاع طلبتنا الحاملون للباكالوريا الثانية فى الرياضيات الذهاب الى الخارج علانية هذه المرة سواء لمصر او الشام .

كما سافر آخرون الى اوربا حيث تلقوا تكوينا لغويا فى الفرنسية او الالمانية ، مكنهم من متابعة دراستهم هناك بسهولة وقد رجعوا وهم يحملون شهادة الليسانس فى العلوم او درجة مهندس.

— 3 —

* نعم ، وبدون ادنى شك ! لقد عرفنا فى الوقت الذي لم يكن لدينا الوسائل سوى ايماننا وارادتنا .

سبق لي ان اشرت الى ذلك حيث كنا نقوم بمفردنا بايجاد المصطلحات الضرورية ، اما الآن ، فتوجد رهن اشارتنا لهذه الغاية قواميس مختصة ، وكذلك طريقة منهجية للتعريب ، واكثر من ذلك ، يمكن لنا الآن تنسيق التعريب بين سائر الاقطار العربية .

وفى نظري ، فالتعريب فى حد ذاته غير صعب ، فليس هناك الا مشكل ، ومشكل واحد : من يا ترى سيقوم بالتعريب ؟ ومتى ستتوفر على جميع الاطر التعليمية القادرة على تدريس جميع المواد العلمية ليسهل تعريبها ؟

منذ لحظة ، كنت اصرخ صرخة المنتصر : لقد استطعنا ان نعرب فى الوقت الذي لم نكن نتوفر فيه على الوسائل الضرورية : ولكن كان الامر اذ ذاك يتعلق بمئات او بآلاف من التلاميذ ، اما الآن ، فقد اصبح يتعلق بعشرات الآلاف او بمئات الآلاف من التلاميذ .

وعليه ، فتعريب التعليم الآن امر سهل من حيث المبدأ اما من حيث التطبيق ، فقد يكاد يكون من قبيل المستحيل ، وذلك اذا نحن اخذنا بعين الاعتبار قلة الاطر الضرورية .

ثم هناك فى نظري سبب آخر اكثر خطورة وهو انعدام النشاط وانعدام الثقة فى الوصول الى هذا الهدف ، وعليه فاذا ما انتم استطعتم ان تخلقوا النشاط وقوة العزيمة كما كان الامر عليه سنة 1953، فانكم لا محالة ستتمكنون فى اقرب الآجال من تعريب تعليمنا العلمي .

— 4 —

* لقد اشرت فيما سبق الى بعض الصعوبات التي منها ما هو جسيم ، وهي :

1) الرجال الضروريون لهذا التعريب .
2) النشاط والايمان والثقة بالتعريب

وهناك صعوبات اخرى على الصعيد التقني ينبغي التغلب عليها ، وابادر بالقول الى ان الحلول التي انادي بها للتغلب على هذه الصعوبات ، هي حلول املتها علي التجارب : فاذا اردنا القيام بعمل ناجع ومفيد ، ينبغي ان نتجنب فى ميدان تعريب العلوم كل التعصبات والانفعالات القومية او اللغوية او غيرها ، فعلينا الا ننسى ان العلوم عالمية يسهم فيها جميع اقطار المعمور ، فاذا كنا فى حاجة الى ان نتعرف الى ما وصلت اليه الاقطار الاخرى فى هذا المضمار، علينا ان نعمل ايضا على ان يتمكنوا بدورهم من التعرف على ما نقوم به نحن الاقطار العربية فى هذا الميدان . ففي الحقل العلمي اذا ، لا توجد بروج عاجية يستحيل الوصول اليها ، وان اكبر ضرر فى نظري يمكن ان يلحق العرب المختصين فى العلوم ، هو ان يضعوا انفسهم داخل دائرة لا يمكن تجاوزها

والحل كما ذكرت ذلك آنفا : هو استعمال الحروف اللاتينية فى كتب الصيغ المتعلقة بالفيزياء والكيمياء والرياضيات ، ابتداء من السنة الثالثة من الطور الثانوي ، وكفى !

وهنا احكي حكايتين اشرح بهما هذا المبدأ الاساسي او ما اعتبره مبدأ اساسيا :

كنت اقوم بتدريس مادة الرياضيات بقسم الباكلوريا الثانية المعربة فى الرياضيات بثانوية مولاي يوسف وكانت الدروس مفهومة جدا من طرف التلاميذ، غير اني كنت اشعر ان هؤلاء كانوا يغارون شيئا ما من اصدقائهم بقسم الباكلوريا الثانية فى الرياضيات باللغة الفرنسية ، وذلك لان الاولين كانوا محصورين فى دائرة الدروس التي كنت القنهم اياها ، اما الآخرون ، فكانوا يتوفرون على عدة مصادر مهمة ، وبالاخص على مؤلفات تحتوي على مشاكل حسابية وتطبيقات منجزة باللغة الفرنسية طبعا .

واذ ذاك ، قمت بالتجربة الآتية : اخذت مطبوعات الرموز ومطبوعات الرموز وحدها فقط وادخلت عليها الحروف اللاتينية وبدلا من أن أكتب :

ا س2 + ب س + ج = 0
كتبت a x2 + b x + C = O

وبعد مضي شهر واحد ، اصبح تلامذتي يتوفرون على مطبوعات الرموز ، لاسيما وان هذه الرموز تجعل الطالب يساير الدروس مسايرة سحرية وبغاية السهولة .

أما الحكاية الثانية ، فهي كما يلي :

حتى سنتي 1957 — 1958 ، لم يكن أحد يؤمن بصفة معقولة في تعريب قسم الباكالوريا الثانية في الرياضيات . وبعد جهود جبارة استطعنا أن نحصل على الموافقة لانشاء هذا القسم .

ولما شعرت ان تلامذتي تعودوا جيدا على استعمال الحروف اللاتينية في كتابة الصيغ ، طلبت — وحظي طلبي بالقبول — أن يجتازوا نفس الامتحانات المخصصة لزملائهم المسجلين بالاقسام الفرنسية ؛ وان يقوم بتصحيح الاختبارات اساتذة فرنسيون ؛ وقد شارك في هذه الامتحانات 26 طالبا معربا نجح منهم 14 او 16 (لا أتذكر بالضبط) .

وخلاصة القول :

ليس هناك مشكل لتعريب التعليم خصوصا في الظروف الحالية :

فتكوين الرجال وتقوية العزائم والجو الضروري واستعمال الطرق الناجعة والعمل على نسيان الانفعالات ؛ تلك هي في نظري المتواضع ، الشروط الضرورية للوصول الى تعريب صحيح يناسب العصر العلمي الذي هو عصرنا وذلك سواء في التعليم الثانوي او العالي .

انطلاق رائع للتعليم العلمي العربي يجب أن يعزز بفتح معاهد التخصص أمام المكونين بالعربية

الاستاذ العربي حصار
صيدلي ومدرس العلوم

* فيما يتعلق بالسؤال الاول على تجربة تدريس المواد العلمية بالعربية لاول مرة بالنسبة لي فقد كانت تقريبا بطريقة الصدفة اذ في سنة 1950 تأسست ثانوية النهضة بسلا وكانت في حاجة اكيدة لاساتذة في تدريس العلوم بالعربية وبديهي أن الواجب كان يدعو اذ ذاك للتلبية والمشاركة في ارساء دعائم النهضة العلمية بالبلاد . ولبيت النداء ، وكانت مهمة صعبة وشاقة لانني تلقيت تكويني العلمي بلغة اجنبية في مدرسة فرنسية محضة لان اللغة العربية تعتبر حينذاك لغة اجنبية . واستطعت تلبية لرغبة الاستاذ ابي بكر القادري ان اضع امكانياتي في سبيل وضع اللبنات الاولى دون ان انسى انني لم اكن مهيأ للمهمة. وتتبع الصعوبات التي واجهتني اذ ذاك في عدم وجود مراجع مدرسية علمية بالعربية سواء في الطبيعيات او الكيمياء والفيزياء . واضطررت انا والاخوان الاساتذة عمور ، والبكاري والطيب بن عمر ان نعكف على ترجمة الكتب الفرنسية . وكانت تجربة انطلقنا فيها من الصفر وسارت رويدا رويدا الى ما بعد الاستقلال ، وخرجنا من التجربة بنتيجة سارة استطعنا فيها لا اقول الانتصار وانما قهر الصعوبات العديدة . وأؤكد بهذه المناسبة انني خرجت وأنا ملم باللغة العربية بفضل العكوف والتدريس .

أما بالنسبة للمدارس العربية فقد كانت التجربة طبيعية ، وانما الشيء الذي وقف حائلا دون جدية وفعالية الدروس هو انعدام وسائل الايضاح ، وهذه المسألة تغلبنا عليها بوسائلنا الخاصة ، فمن جانبي كنت ازود جهتي بالمواد الكيماوية وكان الآخرون من جهتهم يضعون وسائلهم تحت تصرف اقسامهم وهكذا ...

ورغم كل ما ذكرت فقد علقنا آمالا كبيرة على انتصار التعليم العربي العلمي متى استقلت البلاد . وللتدليل على مدى تلك الآمال فقد كنا نحث الطلبة على التوجه الى الشرق وبالاخص سوريا لانها قريبة الينا من حيث التكوين العلمي .

* وعن السؤال الثاني حول نتيجة التجربة والانتقال الى متابعة العلوم في مدارس متخصصة بالمغرب والخارج أجاب الاستاذ العربي حصار على أنه يعتبر النتيجة ايجابية الى حد . فقد استطاع فعلا كثير من المتخرجين بالعربية ان يتابعوا دراستهم العلمية في الخارج سواء في الشرق كبعض المهندسين وهناك دكتور في الكيمياء على وشك انهاء دراسته وعدة طلبة يتابعون تعليمهم العالي في الفلاحة بالولايات المتحدة وطالبان يدرسان الآن في الجزائر احدهما في كلية الطب والآخر في كلية الصيدلة فترة تدريب

استغرقت شهرين كنت اراقبه اثناءها عن كثب واستطاع ان يقطع شوطا مهما فى تدريبه) . وهناك آخرون غابوا عن ذاكرتي .

والمهم أن يتفهم المسؤولون فى هذا المضمار مدى خطورة عدم قبول بعض الطلبة المتكونين عربيا فى كلية الطب . ان الضرورة تقتضي فتح الباب امام من يريد منهم الانتساب الى هذه الكلية واعود لاؤكد على نقطة هامة وهي تخصيص بعض المدارس بالتجهيزات العلمية التي يحتاج اليها الطلبة . وافراد شعبة متخصصة مزودة بكل الامكانيات المتاحة حتى يتم تكوين نخبة تضطلع بالمهمة وتسير بها الى مبتغاها . اما اذا ظلت الحالة على ما هي عليه فلا شك اننا سوف لا نخرج مثقفينا وانما انصاف مثقفين !

وهناك قصر نظر فى بعض الاحكام السريعة التي تطلق على نتائج الباكالوريا العلمية بالعربية ، وهي غالبا ما توصف بأنها ضعيفة المستوى ، وهو طبعا حكم خاطىء لان المواد التي تجرى فيها الامتحانات واحدة ما عدا ان واحدة تقع بالعربية والاخرى بالفرنسية . وهذه مسألة لغة لا دخل فيها للحكم على المستوى .. وقد عالجنا هذه المشكلة باعطاء المصطلحات اثناء الدرس باللغتين ما دام الطلبة سيضطرون استقبالا الى متابعة دراستهم بلغة اجنبية .

* ثم اجاب الاستاذ حصار عن السؤال الثالث وهو اتاحة الفرص امام تلقين العلوم العربية بعد تعريب التعليم ، فقال بان الفرص فعلا ازدادت بكيفية واسعة وربما ايضا بشكل فوضوي ! ذلك انه لزاما ان تفرد فى الجهاز المدرسي شعب علمية تكون فى المستوى ، متينة ومتخصصة . وستعود الافواج التي تدرس بالخارج وقد وجدت الميدان ممهدا ومتيسرا بعض الشيء ، فيستفيد منهم التلاميذ . وتكون مناسبة ثمينة لان يلعبوا دورهم المعلق عليهم وهو دور مهم وفاصل حيث سيقفز التعليم العلمي خطوات واسعة الى الامام .

ثم اعطى الاستاذ حصار بعض الامثلة عن المتقدمين للمدرسة العليا للاساتذة وتأسف لهبوط المستوى ، كما انه اطلع على تصحيح بعض المواد لمباراة الدخول للمدرسة فهالته مختلف الاجوبة ، والمستويات ومرد ذلك الى التكوين الضعيف الذي يعطى للطلبة وهو لا يبشر بخير فى المستقبل . والذين يتخرجون لا ينهض مستواهم الى الدرجة المطلوبة .

وفيما يخص وضع الكتب العلمية بالعربية فقد تم تاليف واخراج كتب علمية فى الرياضيات على الاخص وبعض الكتب فى الفيزياء والكيمياء والطبيعيات للطور الاول من الثانوي . ولا زالت الشعب العلمية تحتاج اشد الاحتياج الى هذه الكتب . وافتح هنا قوسين — يقول الاستاذ حصار — لاعطي مثالا عن المفتشين الفرنسيين الذين كانوا يضعون كتبا علمية خاصة بالبلاد رغم ان الكتب الفرنسية موجودة بكثرة ويتم توزيعها على التلاميذ بالمجان . وقد وضعت كتب عربية وفق البرامج المغربية ولكن لم تنتبه الوزارة لهذا العمل رغم ما تتوفر عليه من الامكانيات .

اما اقتراحي لوضع الكتب فانا الح على وضعها بطريقة علمية منظمة تتوخى الفائدة والصالح العام ، وليس بطرق فوضوية مرتجلة كما وقع بالنسبة للطور الاول من الثانوي . ولا احتاج الى القول بأن المسألة فى الاخير تؤول على انها مسألة تجارية .. وهنا ولا شك تبرز مهمة مكتب التعريب .

— 4 —

* اما عن السؤال الاخير الخاص بمشاكل تعليم العلوم بالعربية فهي كثيرة كما قال الاستاذ العربي حصار : احدهما فى عدم وجود الكتب الملائمة والصالحة من جهة وفى عدم توحيد المصطلح العلمي فى المغرب وخارج المغرب رغم ان مكتب التعريب يبذل جهودا كبيرة ولكنها تسير ببطء . فتوحيد المصطلحات العلمية من الاهمية بمكان وتظهر ضرورته كلما تعددت المصطلحات وبات عسيرا على الانسان ان يحصر مصطلحا فى معنى بعينه . وهذا التعدد والاختلاف بين البلد والآخر عاق فى بعض الاحيان مهمة الاتفاق على قاعدة محددة . وهذا هو الشيء الخطير امام تقدم العلوم فى عالمنا العربي .

وختم الاستاذ حصار جوابه بقوله : يعيب كثير من الناس علينا اننا متعصبون للغة العربية ، والحقيقة اننا متعصبون لان العربية لغتنا ، ورغم ما قيل فيها ستبقى اللغة الحية لانها سايرت وتساير مسيرة العصور المتقدمة . ونقطة الضعف هنا ان يقوم العرب بواجبهم كاملا وعلى احسن حال . وسيظهر الزمن انها لغة صالحة وستبقى صالحة . حقيقة ان العربية ربما اصابها فتور او حصر الا ان الانسان مهما توانى فانه سينهض من كبوته ويستمر فى السير الى الغاية المتوخاة .

الكتب العربيـة فى العلـوم أقـل مستوى من الكتـب العلميـة العـربيـة

الاستـاذ احمـد الاخضـر
جامعـة محمـد الخـامس (الرباط)

ونشرت جريدة «العلم» بحثا للاستاذ احمد الاخضر فى نطاق الاستفتاء جاء فيه :

انه من السهل البسيط جدا تلقين العلـوم بالعربية وبمصطلحات عربية فصيحة فى مستوى اية لغة راقية . ولكن دون اغفال الاساس وهو تهيىء العدة اي الادوات الفنية التقنية لتدريس العلـوم فى نفس المستوى واكرر والح على هذه العبارة « وهي فى نفس المستوى » .

تعليم بـلا مراجـع ـ يعتبـر ناقصـا

ثم اجاب الاستاذ احمد الاخضر عن السـؤال الثالث حول ازدياد فرص تلقين العلـوم بالعربيـة وتدريسها بالعربية بأن هذا امر طبيعي لكن بشروط :

1) التخصص وهو ان يتخصـص كل مغربي فى فرع من العلوم يعني ان يتقن تخصصه ثم بعد ذلـك ان يفرغ معلوماته فى لغته العربية . وبذلك نتوفـر على المراجع العلمية التي تعوزنا . ومـن المعلوم ان الكتاب المدرسي محدود القائمة فتلاميذ المـدارس الحرة الذين يتعلمون الرياضيات والفيزياء والكيميـاء والطبيعيات بالعربية يفتقرون اولا الى كتاب علمـي مدرسي فى هذه المواد . واذا كان هناك كتاب فى هذه العلوم فانه منخفض المستوى بالنسبـة الـى الكتب العلمية الاجنبية . وثانيا ، ليست هناك فرصة البتـة للتلاميذ لتوسيع او تركيز تلك المعلومات التـي يتلقون مبادئها فى القسم واعني المجلات والكتـب والدوريات العلمية المبسطة فى العربية .

ولابد فى هذا المجال من القيام بعبء تاليف الكتب المتوالية فى اللغة العربية لان تعليما بدون مراجـع يعتبر ناقصا . واذا نحن استنجدنا بالبلاد العربيـة فسنجد ان حصيلتها فى هذا الميدان هزيلة لان الكتاب المدرسي العربي متخلف عن الكتاب الاوربي بما يتعدى 60٪ واذن فمن اللازم والاكيد اعادة النظر فى تاليف الكتـب المدرسية وتاليفها يجب ان يراعي بدوره المستوى الذي عليه الكتب فى البلاد الاوربية .

2) عـدم توفر المراجع ، فنحن فقيرون جـدا فى هذا المجال مع انها اساسية فما العمل اذن ؟ يجب القيام بعملين فورا :

ـ تاليف مراجع من طرف المختصين كأن يؤلـف كل متخصص فى شعبته . فكيف سيكون هذا التاليف او الوضع بدوره ؟ من المعلوم ان المراجع تنقسم الى قسمين رئيسيين : (1) قسم توضيحي ، مروج للعلوم (2) وقسم البحث المتخصص . ويمكن فيما يخـص القسم الاول اعني القسم التوضيحي أن يضطلع بـه اي كان ، لكن بالنسبة للقسم الثاني اي التخصص ، فالامر صعب لانه ميدان عميق . وهنـا يبـرز دور الترجمة ومن المهم جدا ان يشجع التاليف والترجمة والنشـر .

ثم نفي الاستاذ الاخضر بعد ذلك الراي القائل بأن تقدم البلاد فى الميادين الاقتصادية والاجتماعيـة كفيل بتقدم التعليم كأن التعليم نتيجة للتقدم الاقتصادي والاجتماعي بينما يقول الاستاذ الاخضر الحقيقـة أن التعليم هو محرك التقدم الاقتصادي والاجتماعـي وهو الاساس الذي يبنى عليه اي تقدم كيفما كـان نوعه . وسأضرب مثالا : هناك امم عربية غنيـة تجلب الاختصاصيين والعلماء الاجانب والفنيين لاطلاق الصواريخ ، لماذا ؟ الانهم اكثر ذكاء من العرب؟ لا لانهم فقط متخصصون اكثر من التخصص فى مستوى اعلى .

نحن طبعا متخلفون وهذا معناه اننا يجب تدارك هذا التخلف ، والتخلف يقدر بالنسبة للاشيء اي بـلا مقياس ، وهذا المقياس هو المستوى الذي توجد عليه الامم الراقية . الا ان الامم الراقية تتقدم بسرعـة مذهلة لا يمكن بتاتا ولو مواكبتها ، فلو اردنـا تمثيل ذلك فسنقـول : ان الدول الراقية تتقدم بسرعـة نسميها (س) فلتدارك تخلفنا يجب ان نتقدم بسرعة (س) بمعامل 2 او 3 او 4 ولكن تقدمنا حسب مـا هو عليه التعليم اليوم يسير بسرعة س مقسومة علـى اثنين ، اذن فلن نتدارك ذلك التخلف ما لم نعمل حينا وبدون تردد على رفع مستوى التعليم .

ثم اجاب عن السؤال الرابع وهو تحديد المشاكل والصعوبات التي تحول دون اتمام تعليم العلوم فقال: بصفة عامة تقف امام تقدم اللغة العربية ثلاث عراقيل :

الاولى : مشكلة اصلاح حروف الطباعـة بالعربية ، وهذه المشكلة حلت عندنا فى المغـرب

بالمشروع المغربي المعروف الذي تبنته الحكومة واصبح في يدها من حيث الاستغلال .

الثانية : مشكلة المصطلحات العلمية والتقنية ، وفيما يرجع لهذه النقطة ما زال العالم العربي يتخبط في مسالكها .

اما مشكل المصطلح العلمي في العالم العربي فانه اتى اولا : من عدم التوحيد ، وعدم التوحيد يأتي من عدم التمسك بالفصحى ، وللتدليل على ذلك هذا المثال: فقد وضع باحث لغوي عربي للفظة الفرنسية La voix لفظة « حس » شارحا بأن لفظة « حس » شائعة في بلاده وتعني صوت الحلق ، وهو ما يقابل عندنا في عاميتنا لفظة « حلق » عندما نقول مثلا : سمعت حلقه ، والكلمة موجودة عند الجاحظ حيث قال : « ان الصقالبة لهم حلق جميلة في الغناء » فالحلق اذن عندنا وهي فصيحة ولكن مع ذلك استعملت لفظة « حس » .

وثانيا : عدم التحري والدقة في الفصحى عند انتقاء الالفاظ ومثال ذلك : لفظة « اينسلبرج » وهي لفظة المانية بمعنى « جبل منفرد » ترجموا هذه الكلمة «بجبل مفرد» و «جبل منعزل» و «الطود» الخ. والتجاوا اخيرا الى لفظة « انسلبريج » مع ان في « المخصص » لابن سيده كلمة : القرن : هو الجبل المنفرد .

وثالثا : عدم الدقة في فكرية المصطلح ، ونجد مثالا لذلك في لفظة «ركام» العربية التي لها مصطلحات كثيرة « كالمورين » الفرنسية و « الكاو » الفرنسية و « الآما » و « الطا » كلها تقابل « ركام » ..الخ، وهناك من يقول بان كلمات كثيرة في الفرنسية لها معان مختلفة وان كان اللفظ واحدا فمثلا : peau جلد الفرنسية لها معان كجلد الانسان والليمون وغيره وهذا مقبول وموجود في اللغة المتداولة لكنه غير مسموح به البتة في اللغة العلمية ، فلفظة الجلد الفرنسية وهي لفظة عامة تطلق على معان مختلفة في العلوم ولكل مفهوم لفظ خاص .

والقواميس تعطي في اللغات الاوربية معنى محددا للكلمة لا يحتمل نسخه او تبديله ليحل مكانا آخر .

وكذلك هناك عدم البحث عن الاصل الحقيقي المصطلح ، ومن الامثلة على ذلك حرف «س» الذي يستعمل في الجبر في بعض المدارس فقد ترجموها عن حرف «x» الفرنسية التي اخذت بدورها عن «x» الاسبانية التي بدورها ترجمت عن حرف الشين العربية التي تدل على الشيء الذي يبحث عنه . فيجب اذن كتابة ش لا س لان ش معناها شيء ، وس ليس لها معنى .

والمشكل الثاني للمصطلحات وهو انه يجب الاقتناع بان اللغات الاوربية فقيرة جدا بالنسبة الى وضع المصطلحات العلمية ، لذلك لا تجد غضاضة في الالتجاء الى الاخذ من الالفاظ اللاتينية واليونانية .

والصعوبة الثانية آتية من عدم مسايرتنا للمصطلحات يعني اننا لا نضع في الحين والتو المقابل العربي للمصطلح الاروبي وكمثال على ذلك : في المصطلحات العلمية الدولية توضع الفاظ قبل جلب المصطلح وبعده للدلالة على معان موحدة متنوعة وتسمى بالعربية تارة بالمتصدرات والمتطرفات او السوابق واللواحق او الاماميات والخلفيات ..الخ كـ: sous و infra, و hypo من السوابق و ite و ique, و eux, و ose, و sie الخ. من اللواحق . ومن المعلوم ان لكل لفظة معنى خاصا ، فلو وضع العالم العربي من اول الامر المقابلات العربية لهذه الحروف لما أصبحنا اليوم امام هذه البلبلة المؤسفة سيما وان العلم يتقدم بسرعة فائقة والمصطلحات توضع بسرعة لا تقل عنها . ولا اخفي سرا اذا قلت بأنه توضع اليوم قرابة الخمسين لفظة جديدة في كل شهر .

ففي ميدان التقنية بالضبط يوجد معجم انجليزي فرنسي متقابل للمصطلحات التقنية خاصة بالمهندسين والهندسة فقط من تأليف « كبتريدج » به 100 الف مصطلح بينما نجد في مجموعة المصطلحات العلمية والفنية التي اثرها مجمع اللغة العربية في مختلف العلوم ، في القانون والطب والكيمياء والرياضيات والهندسة ، والبيولوجيا وعلم الصحة ، والباكتريا والتشريح وعلم النبات وعلم الحيوان وعلم الاحياء وعلم الطباعة وعلم التصوير وعلم التاريخ ، والفلسفة والموسيقى وكل العلوم نجد 11.334 لفظة . ولو ارادت مجامعنا ان تضع معجما كالذي اشرنا اليه بالسرعة التي تسير عليها لتطلب منها ذلك قرنا ونصف قرن من الزمان . فهل من يتعظ ؟ وهل من يرى الحقيقة على وجهها الواقعي ؟

« والتينا على الاستاذ الاخضر سؤالا آخر

مضمنه اننا نسمع بوضع معاجم وموسوعات ودائرات معارف ولا زالت توضع الى الآن فى العالم العربي ».

واجاب الاستاذ الاخضر : « لا اعرف فى العالم العربي أن هناك دائرة معارف بمعنى الكلمة انتهى العمل منها ولا موسوعة اكتملت او انجزت ، انما هناك شبه دائرات معارف وشبه موسوعات مع عدم اغفال ان احسن موسوعة تظهر الآن هي موسوعة فؤاد افرام البستاني ، التي لم يصدر منها الى يومنا هذا الا خمسة اجزاء من حرف «ا» الى العين او الغين اظن .. ولماذا هذا كله ؟ لان دائرة المعارف او الموسوعة هي مجموعة معاجم مختصة وتامة ، وبما اننا لم نضع الى يومنا هذا معاجم مختصة تامة ، فلا يمكن لاية موسوعة فى العلوم ان تكتمل ..! وهذا يعني اننا ابتدانا من حيث انتهى الآخرون .!

اما اصحاب المعاجم فلم يخرجوا الى حد الآن الا ما يسمى بمضغات المعاجم .

والحل اذن امام المصطلحات هو :

اولا : للمحافظة على المستوى يجب ترجمة الكتب المدرسية — لا وضعها — ترجمة وافية مخلصة صادقة امينة ومسايرة جملة جملة مدركا مدركا ومفهوما مفهوما بدون الفرار من المصطلحات ولو ادى ذلك الى استعمال المصطلح الاجنبي موقتا للمحافظة على الوان المعاني كما فعلت الامم الاوربية قبلنا اذ ترجمت الكتب المدرسية الفرنسية الى لغاتها بادخال المصطلحات الفرنسية ، وتخرجت افواج فى المستوى قامت بتاليف كتبها المدرسية في المستوى ايضا .

ثانيا : وضع المعاجم المختصة فى اقرب وقت وبدون تردد . وعرضها على مؤتمرات دورية بالبلاد العربية بعد توزيعها من قبل على الهيئات المختصة.

ثالثا : — واثناء ذلك — تجريد القواميس العربية وكتب اللغة وتصنيف موادها تصنيفا ترتيبيا حسب المعاني وحسب الحروف .

والعمل الاخير يعني تجريد القواميس وكتب اللغة — وهو العمل الذي يسبق وضع المصطلحات وذلك للمحافظة على وحدة اللغة العربية وجعل العربية المعاصرة تكملة للعربية الفصحى حتى لا يقع انفصال بين عربية اليوم وعربية الامس ..

وفى الحقيقة فان التجريد هو نقطة البداية، ونحن مضطرون الى العمل بالاثنين: وضع المصطلحات والتجريد . لان اللغة تتجدد وتصلح ما فاتها .

وبديهي انه لا يفهم من هذا كله ان مثل هذه الاعمال لا يستطيع شخص واحد ان يقوم بها .

الا ان مما يرتاح اليه الضمير ان المغرب بجراته فى دراسة اللغة العربية على حق وجهها واثارة الغبار عن افكار جامدة ، فاننا نلاحظ اليوم فى العالم العربي حركة ونشاطا فى وضع المعاجم وفى التعريب كانت انطلاقا لدعوة المغرب فى هذا الميدان . لان المغاربة يشددون على نفسهم كما يشددون على غيرهم غايتهم فى ذلك الوصول الى العمل المتقن لا المهلهل . كما انهم ينقدون ذاتهم ويضعون امامهم الحقائق وان كانت مرة. ولكن شجاعتهم لمجابهة المشاكل لما ينبىء بمستقبل زاهر للغة العربية ولمستوى التعليم العربي » .

اما المشكل الثالث وهو تبسيط النحو ، ففي الحقيقة ليس بمشكل لان اللغات الاوربية عموما ليس لها نحو بمعنى قواعد قياسية . فاللغات الاجنبية لا تكتسب الا بالسماع والممارسة . اما اللغة العربية فلها قواعد منها الثابت ومنها غير الثابت ، والثابت منها اكثر من غير الثابت ، ولها اوزان وتصاريف منطقية ، ولها قوالب قياسية . فهي من هذه الناحية اسهل اللغات ولكن الشيء الذي يشتكي منه اولئك الذين يتهمونها بصعوبة النحو هو ان اللغة العربية لا تعلم فى المدارس كما يجب ان تعلم والعيب كله ليس فى النحو العربي ولكن : اولا : فى الابواب الضرورية للنحو ، وثانيا : فى كيفية ومنهج التلقين .